

كان قتالا للناس

(Arabic – He was a murderer from the beginning.)

أحبائي.. حديثنا اليوم مَوْضُوعُهُ: كان قتالا للناس

ومن إنجيل يوحنا الأصحاح الثامن نقرأ العَدَدَ الرَّابِعَ والأربعين:

"أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذلك كان قتالا للناس من البدء. ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإبما يتكلم مما له. لأنه كذاب وأبو الكذاب".^١

إذا قرأنا الأصحاح الثامن من إنجيل يوحنا أدركنا أن إبليس كان مُتربصاً لابن الله المُتجسِّد. وكان يدفع أتباعه الأشرار دفعا ليقتلوا السيِّد المسيح. ذلك ليتخلص من ذلك الذي "جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك". لقد أحصر الكتبة والفريسيون المرأة التي أمسكت في ذات الفعل إلى الهيكل. ولما أقاموها في الوسط قالوا له: "موسى في الشريعة أوصانا أن مثل هذه ترحم. فماذا تقول أنت؟". قالوا هذا ليجربوه لكي يكون لهم ما يشكون به عليه ولكنهم فشلوا. أرادوا الإمساك به ولكنهم ما استطاعوا. فمكتوب أنه لم يمسه أحد "لأن ساعته لم تأت بعد".^٢

كان الكتبة والفريسيون وجماعة كبيرة من اليهود في الهيكل. وبينما كان يسوع يتكلم إليهم آمن به كثير من اليهود. فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به: "إنكم إن ثبتتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يُحرركم". أجابه بعضهم: "إننا ذرية إبراهيم ولم نستعبد لأحد قط. كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً؟". أجابه يسوع: "الحق الحق أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية. فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً. أنا عالم أنكم ذرية إبراهيم. لكنكم تطلبون أن تقتلوني لأن كلامي لا موضع له فيكم. ثم قال: وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم. قالوا: أبونا هو إبراهيم. قال لهم: لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني. وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعته من الله. هذا لم يعمل إبراهيم".

قال يسوع لليهود: أنتم تعملون أعمال أبيكم. فقالوا له: "إننا لم نولد من زنا. لنا أب واحد وهو الله". ثم قال لهم: "لماذا لا تفهمون كلامي؟. لأنكم لا تفكرون أن تسمعوا قولي. أنتم من أب هو إبليس. وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذلك كان قتالا للناس من البدء. ولم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب فإبما يتكلم مما له. لأنه كذاب وأبو الكذاب. وأما أنا فلائي أقول الحق لستم تؤمنون بي. من منكم يُكثني على خطية؟". فإن كنت أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟. الذي من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون لأنكم لستم من الله". ونقرأ في نهاية الأصحاح الثامن أن يسوع قال لهم وهو يعلم في الهيكل: "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن". فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاخفى وخرج من الهيكل. مجتازاً في وسطهم ومضى".^٣

وبالتأمل في مضمون ذلك الأصحاح نستنتج ثلاث حقائق هامة.. نقدمها كجوابة على أسئلة ثلاثة:

أولاً: ما علاقة إبليس بتابعيه وما أهم أهدافه؟.. لقد خاطب الرب يسوع اليهود الذين كانوا يحاورونه في الهيكل بقوله لهم: "أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذلك كان قتالا للناس من البدء". إن شهوات إبليس تنحصر في القتل. وتابعوه بخضوعهم له يعملون عمله. لذلك كان اليهود من كتبة وفرسيين وكهنة ورؤساء كهنة يتآمرون على السيِّد المسيح كي يقتلوه.. ولكنهم لم يفلحوا في تنفيذ ما أرادوه وقتذاك. "لأن ساعته لم تأت بعد". فالمسيح لم يأت ليقتل. بل أتى "ليبدل نفسه فدية عن كثيرين". وستان الفرق بين المعنيتين. أشار إلى ذلك المعنى المقصود بالفداء يوحنا المعمدان بالأصحاح الأول من إنجيل يوحنا بقوله: "هوذا حمل الله الذي يرفع

^١ استمع إلى الإنجيل

^١ إنجيل يوحنا ٨: ٤٤

^٢ إنجيل يوحنا ٨: ٢ - ١١ & ٧: ٣٠ & ٨: ٢٠ ، إنجيل لوقا ١٩: ١٠

^٣ إنجيل يوحنا ٨: ٣٠ - ٤٧

خَطِيئَةَ الْعَالَمِ". لَمْ يُسْفِكْ دَمَ الْمَسِيحِ هَدْرًا. بَلْ سَفَكَ دَمَهُ لِيَهَبَ غُرَانًا لِلخَطَايَا وَحَيَاةً أَبَدِيَّةً لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ. قَالَ يُوحَنَّا الْبَشِيرُ بِالْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ إِنْجِيلِهِ: "لَأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةَ. لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلْ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيُدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيُخَلِّصَ بِهِ الْعَالَمَ".^١

إِنَّ لِإِبْلِيسَ وَسَائِلَ مُتَعَدِّدَةً لِإِسْبَاعِ شَهَوَاتِهِ. لَقَدْ أَقْنَعَ هِيرُودُسَ الْمَلِكَ بِأَنَّ مَوْلُودَ بَيْتِ لَحْمٍ سَيَحْرُمُهُ مِنْ صَوْلَجَانِ مَلِكِهِ. فَأَرْسَلَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصَّبِيَّانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تَحْوَمِهَا مِنْ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونَ. بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ الطِّفْلُ يَسُوعُ وَاحِدًا مِنْهُمْ. وَمَلَأَ إِبْلِيسُ قَلْبَهُ هَتَلًا مُفَجِّرَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةَ حَقْدًا وَبُغْضَةً لِلشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ فَعَذَّبَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ سِتَّةَ مَلَائِيحِينَ مِنَ الْأُبْرِيَاءِ دُونَ ذَنْبٍ اقْتَرَفُوهُ. وَفِي عَصْرِنَا هَذَا وَفِي مُعْظَمِ الدُّوَلِ أَقْنَعَ إِبْلِيسُ بَعْضَ الْأَطْبَاءِ وَبَعْضَ رِجَالِ الْقَانُونِ وَالسِّيَاسَةِ بِقَتْلِ الْأَجِنَّةِ فِي الْأَرْحَامِ مِمَّا تَسَبَّبَ فِي حَرَمَانِ مَلَائِيحِينَ الْأَطْفَالِ مِنْ رُؤْيَةِ النُّورِ. وَلَقَدْ أَقْنَعَ إِبْلِيسُ أَيْضًا كَثِيرًا مِنَ الشَّبَابِ بِمُمَارَسَةِ الْجِنْسِ وَاحْتِسَاءِ الخُمُورِ وَالانْكِبَابِ عَلَى الْمُخَدَّرَاتِ لِدَرَجَةِ الإِدْمَانِ. أَوْدَى بِحَيَاةِ الْجِيلِ الْجَدِيدِ وَيُعَدُّ بِالْمَلَائِيحِينَ. إِذْ قَفَدُوا حَيَاتَهُمْ وَمَاتُوا قَبْلَ الْأَوَانِ. لَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ عَنْ إِبْلِيسَ: "ذَلِكَ كَانَ قِتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبِدْءِ".^٢

ثَانِيًا: مَا صِفَاتُ إِبْلِيسَ الَّتِي يُورِثُهَا لِتَابِعِيهِ؟.. إِنَّ أخطرَ صِفَاتِ إِبْلِيسَ الَّتِي يُورِثُهَا لِتَابِعِيهِ وَتَلَازِمُ صِفَةَ الْقَتْلِ الشَّهِيرِ بِهَا هِيَ "أَنَّهُ كَذَابٌ وَأَبُو الْكَذَابِ". فَلَئِكِي يُحَقِّقُ شَهَوَاتِهِ بِسْتِخْدَامِ الْخَدَاعِ وَالْكَذِبِ وَالْإِفْتِرَاءِ عَلَى الْحَقِّ. لِكَيْ يَقْنَعَ اتِّبَاعَهُ لِلسَّيْرِ فِي طَرِيقِهِ. وَلَقَدْ انْطَلَقَتْ أَكَادِيمُهُ عَلَيْهِمْ. فَلَمْ يَكُنْ الطِّفْلُ يَسُوعُ خَطِرًا عَلَى هِيرُودُسَ الْمَلِكِ. إِذْ لَمْ تَكُنْ خُطَّةُ اللَّهِ إِخْلَاءَ هِيرُودُسَ مِنْ مَلِكِهِ لِإِحْلَالِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَكَانَهُ. وَلَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ". وَلَمْ يَكُنْ الْيَهُودُ خَطِرًا عَلَى هِتْلَرٍ حَتَّى يُعَذِّبَ وَيَقْتُلَ مِنْهُمْ سِتَّةَ مَلَائِيحِينَ مِنَ الْأُبْرِيَاءِ. وَلَكِنَّهُ صَدَقَ أَكْذُوبَةُ إِبْلِيسَ أَنَّ الشَّعْبَ الْأَلْمَانِيَّ أَفْضَلَ الشُّعُوبِ. وَأَقْنَعَهُ بِإِبَادَةِ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي عَاتَبَهُ أَقَلَّ مِنْ بَنِي جَسِيهِ. وَأَقْنَعَ الْأَطْبَاءَ بِقَتْلِ الْجِنِينِ فِي رَحِمِ أُمَّه حَلًا لِمُشْكَلَةِ فِتْيَاتِ انْحِرَاقٍ عَنْ سِوَاءِ السَّبِيلِ. قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ لِاتِّبَاعِ إِبْلِيسَ: "أَنْتُمْ مِنْ أَبِ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتُ أَبِيكُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قِتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبِدْءِ. وَلَمْ يَنْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ. لِأَنَّهُ كَذَابٌ وَأَبُو الْكَذَابِ".^٣

ثَالِثًا: هَلْ مِنْ مُحَرَّرٍ لِيُحَرِّرَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ إِبْلِيسَ مِنْ تَبِعِيَّتِهِمْ لَهُ؟.. لَقَدْ كَشَفَ الرَّبُّ يَسُوعُ لِلْيَهُودِ فِي الْهَيْكَلِ عَنْ الْفَيُودِ الَّتِي تَقِيدُهُمْ وَتَجْعَلُ مِنْهُمْ عِبِيدًا لِإِبْلِيسَ. وَأَعْلَنَ الرَّبُّ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ أَنَّهُ الْمُحَرَّرُ مِنَ قَيُودِ إِبْلِيسَ وَوَاهِبُ الْحَيَاةِ وَالْحُرِّيَّةِ وَالانْتِظَاقِ مِنَ الْأَسْرِ الْبَغِيضِ. فَلَقَدْ قَالَ لِلْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ: "إِنِّكُمْ أَنْ تَبْتَدُوا فِي كَلَامِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلَامِيذِي وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ". "فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْإِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا". "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ أَنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْفَظُ كَلَامِي فَلَنْ يَرَى الْمَوْتَ إِلَى الْأَبَدِ". لَا يُعْقَلُ أَنْ نَتَمَسَّكَ بِالْخَطِيئَةِ وَنَدَّعَى أَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ. لَقَدْ أَوْضَحَ ذَلِكَ الرَّبُّ يَسُوعُ بِقَوْلِهِ: "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيئَةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيئَةِ". لَنْ نَنَالَ تَحْرِيرًا وَخَلَاصًا إِلَّا إِذَا اعْتَرَفْنَا لِلرَّبِّ بِأَنَّنا خُطَاةٌ نَادِمُونَ عَلَى مَا اقْتَرَفْنَاهُ مُعْلِنِينَ تَوْبَتَنَا.

إِنَّ طَرِيقَ الْخَلَاصِ يَبْدَأُ بِتَغْيِيرِ تَبِعِيَّتِنَا أَوْلًا. ثُمَّ إِعْلَانِ أَنَّنا لَسْنَا بَعْدُ تَابِعِينَ لِإِبْلِيسَ وَلَسْنَا بَعْدُ مُنْقَادِينَ لِأَفْكَارِهِ بَلْ نَحْنُ تَابِعِينَ لِلرَّبِّ يَسُوعَ ثَابِتِينَ فِي كَلَامِهِ. لِأَنَّهُ بِتَغْيِيرِ الْقَائِدِ تَتَغَيَّرُ الْأَهْدَافُ وَتَتَغَيَّرُ الْمَسِيرَةُ. لِأَنَّنا لَسْنَا أَحْرَارًا إِذَا تَبَعْنَا إِبْلِيسَ وَانْقَدْنَا لِأَفْكَارِهِ. إِنَّا أَحْرَارٌ بِتَبِعِيَّةِ الْمُحَرَّرِ الْأَعْظَمِ. لَقَدْ قَالَ الرَّبُّ يَسُوعُ: "فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الْإِبْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا". لَا يَسْتَطِيعُ الْمُقَيَّدُ بِالسَّلْسَلِ فَكْ قِيُودِهِ بِنَفْسِهِ. فَلَنَاتِ إِلَى صَاحِبِ الْيَدِ الْقَوِيَّةِ الْقَادِرَةِ.^٤

عَزِيزِي الْقَارِي: أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَيَاْنَا السَّمَاوَى.. آتِي إِلَيْكَ بِكُلِّ ضَعْفِي. وَبِكُلِّ ذَنْبِي وَبِكُلِّ قِيُودِي. رَاجِيًا غُفْرَانَكَ وَتَحْرِيرَكَ. رَاجِيًا قُوَّةَ مِنْ لَدُنْكَ تَعِينَنِي عَلَى الْمَسِيرِ فِي طَرِيقِكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِي. وَاتِّقَا مِنْ اسْتِجَابَتِكَ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يَقْبَلْ إِلَيَّ لَا أَخْرِجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزِ.. إِنَّ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرَّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ إنجيل يوحنا ٧: ٣٠ & ٨: ٢٠ & ١: ٢٩ & ٣: ١٦-١٧ ، إنجيل متى ٢٠: ٨ ، إنجيل مرقس ١٠: ٤٥
^٢ إنجيل متى ٢: ١٦ ، سفر الأمثال ٧: ٢٦ ، سفر الجامعة ١٢: ١٣ - ١٤
^٣ إنجيل يوحنا ١٨: ٣٦ ، سفر التكوين ٣: ٤ ، سفر أعمال الرسل ٥: ٣
^٤ سفر التكوين ١٨: ١٤ ، إنجيل مرقس ٩: ٢٣ & ١٠: ٢٧ ، سفر أيوب ٤٢: ٢